ومئة جنيه واشترى اخر صورة بثلاثة آلاف جنيه ثم باعها بستة آلاف وصورة مسز سدنز التي صورها رينلدز واخذ ثمنها ١٥٠ جنيهاً بيعت منذ عهد قريب بسبعة عشر الف جنيه والذي اشتراها باعها باثنين وعشرين الف جنيه . وبيعت سنة ١٦٨٣ صورة من تصوير غينسبرو بستة وستين جنيهاً ثم بيعت منذ سنتين بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٥٠٠ جنيه . وبيعت اربع صور أخرى من تصوير غينسبرو فبلغ ثمنها معاً ٨٩٠٠ جنيه ولو كان أعطي فيها مئة جنيه في حياته لعدها صفقة رابحة

وبيعت صورة من تصوير المصور رمني بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٢٠٧ جنيهات و١٠ شلنات وكانت الاجرة التي اخذها لتصويرها اربعين جنيهاً لا غير . وباع المصور ملايز صورة من صوره بنحو خمسة جنيهات ثم بيعت بعد ذلك بثلاثين سنة بمبلغ ٢٣٣٦٦ جنيهاً . واشترى رجل صورة قديمة في باريس بخمسين فرنكاً ثم ثبت انها من تصوير رفائيل فباعها بثمانين الف فرنك . واشترى آخر صورة من تصوير روبنس بخمسة جنيهات وهي تساوي الآن سبعة آلاف جنيه

رابطة السلام (١)

ايها الرئيس وايها التلامذة . افتتح المقال بالشكر لكم . بالشكر القلبي للذين تكرّموا باعادة انتخابي لمنصب الادارة من غير اختلاف واني اعدّ ذلك شرفاً لي واهنئكم لانكم باعادة انتخابي قد احدثتم انتخاب مساعدي الغيور الدكتور روس صاحب الهمة العلياء

وانتم ايها الشبان تتأهبون الآن للجري في ميدان العالم ولي الثقة انكم قد عقدتم النية على مقاومة ما فيه من الشر ومعاضدة ما فيه من الخير حتى تتركوه وهو احسن مما كان لما دخلتموه . ولا بدّ من انكم تفكّرون الآن في العمل الذي تختارونه والاشغال التي تشتغلون بها وما هي السبل لاظهار مقدرتكم . وعسى ان تسألوا ايضاً ما هي الشرور التي يجب عليكم ان تستأصلوها او تضعفوا قوتها على الاقل وما هي الاعمال التي يجب عليكم ان تقوموا بها نحو وطنكم وامتكم . وستجدون العالم اصلح مما وجدوه اسلافكم وهذا مما يسرّ الخاطر ولكن لا يزال فيه شرٌّ كبير يفوق كل الشرور فداحةً فاوجه اليه انظاركم في هذه الساعة ألا وهو قتل الناس بعضهم بعضاً كأنهم وحوش ضارية اي استخدام الحرب لحل ما بينهم من المشاكل مع ان

(١) خطبة للسر اندرو كارنجي المشهور في مدينة سنت اندرو الجامعة

الحرب هي كما قال فيها روسو "افتح شيطان تنشئهُ جهنم من فيها". ولقد عدَّها كذلك احكم الناس وافضلهم والقاهم من اقدم العصور الى الآن

قال هوميروس الذي كان قبل المسيح بنحو ثمانمئة وخمسين سنة "ان من اشترك في فظائع الفتن الاهلية بارادته فقد تعدى حقوق الدين والاهل والوطن"(١) وانطق زفس رئيس الالهة بقوله مخاطباً اريس اله الحرب "دعني منك ومن شكاويك ايها الخائن اتلك أكره الي من كل ارباب الاولمبس لان دأبك الخصام والحرب والقتال"(٢)

وقال يوريبدس (٤٨٠ — ٤٠٦ قبل المسيح) "لماذا تشرعون رماحكم ايها الناس وتطعنون بها اخوتكم. اليكم عن ذلك احذروا ايها الحقى الذين تبغون جزاء الشجاعة بالحرب ظالمين ان تسكنوا اضطراب الناس بالقتال لانهُ ان كانت الخصومات تفصل بسفك الدماء فلا نهاية للخصام"

وقال ثيوسيديدس بين سنة ٤٢٣ و٤٠٣ قبل المسيح. "تنشأ الحروب من اسباب خفية او طفيفة والغالب ان يكون مبدأها نقطة فيظ". ثم قال ما يجب ان يكون دستوراً لنا وهو "من يلجأ الى التحكيم لم تجز مناجزتهُ". ومدح ارسيدس بركليس لانهُ رضي بالتحكيم تجنباً للقتال

وقال اندوسيدس (٤٤٠ — ٣٨٨ قبل المسيح) "هذا اذاً ايها الاثينيون هو الفرق المميز بين الاثنين السلم هو الامان للشعب والحرب الدمار العاجل"

وقال اسوكراتس (٤٣٦ — ٣٣٨ ق. م) "يجب ان نسالم الجميع ونحتفظ بالسلم ولكن ذلك لا يكون الا بعد أن نقتنع ان الراحة خير من التعب والعدل خير من الظلم والاهتمام بما لنا خير من الطمع بما للغير" "خطبتهُ في السلم"

ولقد توخت كتب المشرق الدينية الحض على السلم فقالت "ان بوذه عاش مزيلاً للخصام مقرباً للصداقة مسالماً ومحبباً للسلام مغرماً بهِ ومتكلماً عنهُ ههنا صلاحهُ. حرَّم القتل وتجنب

---

(١) [المقتطف] نظم ذلك سليمان افندي البستاني في الترجمة العربية بقوله في الالياذة (صفحة ٥٥٤)

فلا شرع لا ماوى ولا اسرة لمن يقتتلو في القوم بعد عمائها

(٢) [المقتطف] وقد ترجمها البستاني بقوله في النشيد الخامس صفحة ٤٣٤

فاطرق زفس مغضباً وقال عنوت ولا تستقرُّ بحالْ
فلا تسكنُ امرك بعدُ انيا فانك ابغض ربٍّ لديا
فدأبك ما زال بين الانامْ شقاقاً ومشقة واختصامْ

وان كانت الترجمة الانكليزية معتمدة على الاصل اليوناني فيكون الاولى بالبيت الاخير ان يكتب هكذا

فدأبك ما زال بين الورى خصاماً وقتلاً وحب الوغى

ازالة الحياة رمي السيف والنبوت كان مملوءا من الحشمة والحنان لطيفاً شفيقاً على كل الاحياء. حقاً ان الملك سيدنا وضع حداً للامراء وجمع التروس والرماح وردّ القسي والسهام الى جعبها"

ولقد صرّحت الزندستا قبل المسيح بقرون كثيرة ان مقاومة السلم اثم". واوصى بوذا قبل المسيح بستة قرون قائلاً " حبوا جميع الناس " وقال المنبود " ان من كان كريم الاخلاق رأى الناس كلهم ابناء بيت واحد "

نأتي الآن الى الرومان فقد قال شيشرون (١٠٦ — ١٣ ق م) " لا يجوز ان يقوم على الحرب قوم بلغوا درجة عالية من العمران الاّ دفاعاً عن دينهم او كيانهم. ولحسم الخصام سبيلان الدليل والقوة والثاني سبيل الوحوش والاول سبيل الخلائق التي أُعطيت قوة العقل " وقال مخاطباً مجلس الشيوخ " لقد تكلمت كثيراً في الحض على السلم قبلما اجمعنا على شيء وبقي هذا رأيي مدة شبوب الحرب ولو كنت في خطر مبين " هذا قول قائد محب لوطنه وهو انموذج نحتاج اليه في هذا العصر

وقال سلستس (٨٣ — ٣٤ ق . م) " لما علم مجلس الشيوخ بشبوب الحرب اختار ثلاثة من الشبان وبعث بهم الى افريقية الى الملكين المتحاربين ليقولوا لهما بلسان الشيوخ والشعب انهم يطلبون منهما ويتضرعون لهما ان يلقيا سلاحهما ويفصلا خصومتهما بالتحكيم لا بالسيف لان ذلك شرف لهما وللرومانيين "

وقال فرجيل (٧٠ — ١٩ ق . م) " لقد شاع حب القتال وشر الحرب الذي هو جنون مطبق اما انا وقد حضرت الآن من حومة الوغى ويداي ملطختان بالدماء فلا يحل لي ان امس تماثيل الآلهة الاّ بعد ان اغتسل واتطهر بماء جارٍ "

وقال سنيكا (٤ ق م — ٦٥ م) " انا اقتضي من القاتل اذا قتل رجلاً ولكن ماذا نفعل بالذين يخوضون غمار الوغى ويقتلون امة باسرها . ان حب الظفر جريمة كالقتل والظافرون اضرّ بالناس من السيول والزلازل "

وقال تاسيتوس " ان المتمادين في الشر اقدر الناس على ايقاظ الفتنة ووقوع العداوة . اما السلام والسكينة فيحتاجان الى الصلاح "

وقال يوسيفوس وكان ميلاده قبل المسيح بثلاثين سنة " لا حرب بين الذين لم يولدوا في الشر. والداعي الى الحرب انما هو حب الملاذ او التفاني في طلب المجد والسلطة "

هذه امثلة قليلة من اقوال القدماء. والآن استميحكم بذكر بعض الاقوال التي قالها آباء

الكنيسة الاولون لانهُ لا بد من ان يكون لما وقع بنوع خاص في نفوس الذين يدرسون العلوم الدينية منكم

قال يوستينانوس الشهيد الذي توفي سنة ١٦٥ "لقد تمَّت النبوات لاننا نحن الذين كنا نقتل بعضنا بعضاً لم نعُد نقاتل اعداءنا"

وقال القديس ايرونيموس (١٤ — ٢٠٢) "ان المسيحيين قد صنعوا سيوفهم ورماحهم آلات سلام ولا يعرفون الحرب"

وقال اكليمندس الاسكندري الذي كتب في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث "ان اتباع المسيح لا يستعملون شيئاً من آلات القتال"

وقال ترتليانوس (١٥٠ — ٢٣٠) "كيف يمضي المسيحي الى الحرب وكيف يحمل السلاح وقت السلم والرب قد حرَّم السيف علينا فانهُ امرنا بطرح السيف حينما قال لبطرس اطرح سيفك من يدك"

وقال اورجنوس (١٨٥ — ٢٥٤) "ان الملائكة لتعجب من ان المسيح جاء بالسلام الى الارض وهي تراها مشحونة بالحروب"

وقال القديس كبريانوس (٢٠٠ — ٢٥٧) "ان المسيحيين لا يحاربون من يحاربهم لانهُ لا يحق للبريء ان يقتل الاثيم"

وقال ارنوبيوس الذي كتب نحو سنة ٢٩٥ "انهُ لو جرى الجميع على قول المسيح وابطلوا استعمال السلاح لعاشوا بالسكينة والامن وقويت بينهم رابطة الحب والوئام"

وقال لكتنتيوس الذي كتب في اوائل القرن الرابع "انهُ لا يجوز للرجل الفاضل ان يحارب لان الحرب والفضيلة ضدَّان. والذي نهى الله عنهُ ليس القتل المدني لان هذا تجازي عليهِ الشرائع المدنيَّة بل القتل الذي تحلهُ الشرائع المدنيَّة وهو قتل الناس في الحرب ولذلك لا يحلُّ للمسيحي ان يتسلَّح بالسيف والرمح لان العدل سلاحهُ . والامر الالهي لا يستثني شيئاً فان الدم مقدَّس وسفكهُ محرَّم فهل هذا سبيلكم الى التسليم ان تخربوا المدن وتنفروا البلاد وتقتلوا السكان او تستعبدوهم"

وقال اثناسيوس (٢٥٦ — ٣٧٣) "انهُ حينما يسمع الناس تعاليم المسيح يبدلون الحرب بالفلاحة ويرفعون ايديهم بالصلاة بدلاً من رفعها بالسلاح"

وقال القديس اوغسطينوس (٣٥٤ — ٤٣٠) "ان حرب الدفاع هي الحرب الوحيدة الجائزة ويجوز فيها وحدها للجندي ان يقتل خصمهُ اذا لم يجد سبيلاً آخر لوقاية بلده او اخوته"

وكتب سلسوس خصم المسيحيين الاقدمين سنة ١٧٦ معيّرًا اياهم بانهم يحرّمون حمل السلاح وقال انهُ لم يجد مسيحيًا واحدًا في جيش كبير من الجند الروماني يبلغ ثلث العساكر الرومانية كلها

وكتب البابا غريغوريوس الكبير الى ملك لمباردية يقول لهُ "انك باختيارك السلام اعربت عن حبك لله صانع السلام"

وكتب البابا انوشنتيوس الثالث معترضًا على الحرب بين فيلبس ملك فرنسا وريكاردس ملك انكلترا "ان المسيح ترك السلام لتلاميذهِ حينما كان عازمًا على اتمام عمل الفداء مريدًا ان يحتفظوا بهِ . وما تركهُ لم وقت موتهِ اثبتهُ لم وقت قيامتهِ بقولهِ سلام لكم وهو اول كلام قالهُ بعد القيامة . والسلام ثمرة المحبة التي هي اتمام الناموس . وكيف يحب الله من لا يحب قريبهُ"

وقال ايراسموس "انهُ اذا كان في اعمال الناس شيء يجب ابطالهُ وتنيهُ وتجنبهُ ومقاومتهُ فذلك الشيء هو الحرب"

وقال لوثيروس "ان المدافع والبنادق آلات محرّمة وعندي انها من اختراع الشيطان مباشرة . ولو رأى آدم في حلم الآلات الجهنمية التي استنبطها ابناؤهُ لمات غمًّا"

ولا شيء في تاريخ الديانة المسيحية اوضح من ان رجالها الاولين كانوا يقولون ويحسنون ان معلمهم حرّم قتل الناس في الحرب وحرّم عليهم الانتظام فيها . ولقد كان السبب الاكبر للخلاف بين المسيحيين وغير المسيحيين من الرومانيين ان المسيحيين ابوا الانتظام في سلك الجنود . وانا نعجب مما تلا ذلك من التغيير اذ نرى قسوس المسيحيين يرافقون جنودهم الى ميادين القتال ويتجاسرون على رفع اصواتهم الى الحق سبحانهُ طالبين منهُ ان يؤيد جيوشهم وينصرهم في عملهم القبيح وهو قتل الناس . واذا كانت الامتان المتحاربتان مسيحيتين كما يحدث كثيرًا قام قسوس كل امة منهما يطلبون من اله الحروب باسم ملك السلام ان يؤيد امتهم وقد يطلبون ذلك في كنائسهم ومع ناشرون الرايات الممثلة للذبائح الدموية . ما هذا الالحاد وما هذا التجديف . ان الوثنيين كانوا لا يجسرون على الدنو من آلهتهم قبل ان يغتسلوا ويتطهروا من ادران الحروب

لا شبهة ان تعاليم كل المشترعين قد تغيّرت بعض التغيّر حينما عُمل بها ولكن مما يقضي بالعجب ان تعاليم المسيح واتباعهِ من حيث الحرب والمحاربون قد انقلبت تمامًا . وما احسن ما قالهُ بشام في هذا الصدد وهو "لا اقبح مما اجمع عليهِ الناس الآن من جهة الحرب فقد وقع اجماع الكنيسة والدولة والحاكم والمحكوم على نصرة الشر في اوسع معانيهِ . أليس انسانًا ثوبًا

مخصوصاً ولقبهُ لقباً مخصوصاً تصير لهُ سلطة على ارتكاب كل الموبقات على القتل والنهب وتزع الراحة والسعادة بفعل ذلك ويجازى عليهِ احسن جزاء . وسيأتي عصر لا يصدق اهلهُ اننا كنا نزيد اكراماً للناس على نسبة ما يزيدون في إشقاء غيرهم الا بعد ان يروا الادلة الكثيرة على ذلك في تاريخنا "

وقال باكون " لاسبيل لان تعد الحرب مقدسة ما لم تحقق الديانة المسيحية في هاون وتركب منها ديانة جديدة "

ويظهر لي ان الديانة المسيحية لم تقصّر في شيء من اعمالها كما قصّرت في نظرها الى الحرب اذا قسناها الآن بما كان عليهِ رجالها القريبون من عهد المسيح . وسكوتها حينما تستطيع ان تمنع الحرب لو نطقت بكلمة . وصمتها في زمن تأجّج نيران القتال . واغضاؤها في زمن السلم عن المجاهرة بان قتل الانسان المخلوق على صورة الله مخالف لتعاليمها الاساسية . واستخدام شعائرها المقدسة لغايات الحربية الاثيمة — كل ذلك دعا الوزير بلفور لتشهيرها بقولهِ " ان الكنيسة تشتغل الآن بمسائل لا تساوي غبار الميزان بالنسبة الى الامور الجوهرية التي يُطلَب منها الاهتمام بها "

ويمكن ان نملأ مجلدات كبيرة باقوال كبار المحدثين الذين ذموا الحرب — فاجتزئ بالقليل منها

قال لورد كلارندون (١٦٠٨ — ١٦٧٤) " لا تستطيع ان تصور صورة لجهنم اوضح من صورة بلاد نشبت فيها حرب "

وقال جبون " ان اللص والقاتل يمتحان بنعتهما الحقيقي ولكن فعال جيش كبير تعد اعمالاً شريفة مجلة "

وقال السر دانيل بروستر (١٧٨١ و ١٨٦٨) الذي كان رئيساً لمدة المدرسة " لا شيء في تاريخ نوع الانسان اغرب من ان الحرب ابنة البربرية تبقى في عصر النور والعمران الا يقاومها حيث مرّ على الديانة المسيحية نحو الفي سنة وهي تلقي اشعة نورها واجتهاد بعض الناس في الاستدلال على جواز الحرب بآيات من الكتاب "

وقال الوزير جون هاي الذي توفي حديثاً وهو من اعظم وزراء اميركا واحكمهم " ان الحرب اخف جهلات الناس واقبحها "

ولقد عمل الانسان اعمالاً جليلة في ارتقائهِ من حال الهمجية فابطل كثيراً مما كان شرّاً مبيناً واما الحروب فلا تزال وصمة عار تلطخ الارض وتعيب العمران . ولكن هذا

الظلام الدامس لا يخلو من اشعة النور . فانظروا كيف كانت الحروب وكيف صارت لم يكن لها نظام ولا قيد . كان الناس يستحلون اغتيال الحكام والقوّاد ويستأجرون من يسمهم او يقتلهم غيلةً وكانوا يقتلون الاسرى او يستعبدونهم ويعذبون من يقع حيًّا في يدهم من الاعداء اشد العذاب ولا يعفون عن امرأة ولا عن رضيع . وكان غرضهم الاول السلب والنهب

واسمحوا لي الآن ان اذكر لكم خلاصة تاريخ الامور التي خففت ويلات الحروب

فاول امر منها قواعد المجمع اليوناني الامفكتيوني الذي انشئ قبل المسيح بثلاثة قرون فان اعضاء ذلك المجمع قالوا انهُ اذا تحارب اليونان وجب ان يتحاربوا كاناس يقصدون ان يصطلحوا يومًا ما . وحرّموا احراق البيوت وتخريب البلاد وقالوا ان الحرب خاصة بالجنود فلا يعد اهل البلاد كلهم اعداء يجوز قتلهم

وما كان لهُ شأن كبير في تخفيف ويلات الحروب كتاب غروتيوس في حرية البحر الذي نشر سنة ١٦٠٩ فان اسبانيا وبريطانيا والبرتغال كانت تدعي ان البحار مقفلة الأعن البلدان الواقعة على سواحلها . وكتابهُ الثاني الذي موضوعهُ حقوق الحرب والسلم فانهُ اثّر تأثيرًا شديدًا في نفوس الناس حتى ان الكردينال رشليه عفا عن حامية المضيق في مدينة روشل حينما كان ينتظر منهُ ان يستبيحهم قتلاً ونهبًا لانهم هراطقة وقتلهم فضيلة فنقم عليهِ اصحابهُ ولقبوهُ بكردينال الشيطان ورئيس الكفار . ثم جاءت عهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ فختمت بها حروب الثلاثين سنة في المانيا والثمانين سنة في هولندا وعصر التوحش في بلدان كثيرة ونتج ذلك كلهُ من تأثير كتاب غروتيوس في النفوس القائل ان كل ملك مستقلٌ في بلادهِ والبلدان كلها متساوية في الحقوق وانهُ لا بدَّ من الجري على موجب قوانين العدل والرحمة . فلا اسم يفوق اسم ذلك الفاضل في انتقال الناس من الحروب الدموية التي لا قانون لها ولا سنَّة الى الحروب الخاضعة للقوانين الدولية والحقوق المتبادلة فوا برالسنن المعروفة بالقوانين الدولية من حيث علاقتها بالحرب والسلم

وتمتاز القوانين الدولية بان ليس لها قوّة تنفذها فلا يدعو الناس للعمل بها الاَّ حب العدل والرحمة . والناس مديونون دينًا عظيمًا للذين عزوها

واهمُّ اصلاح تم حديثًا في قوانين الحرب الاصلاح الذي تضمنتهُ معاهدة باريس سنة (١٨٥٦) ومعاهدة وشنطون (١٨٧١) . واتفاق بروكسل (١٨٧٤)

فمعاهدة باريس حرّمت تسليح السفن التجارية وارسالها لتغزو والنهب فاقتصرت الحروب

البحرية على السفن الحربية المجهزة لها ولم تعد السفن التجارية في خطر من ان تعتدي عليها سفن تجارية اخرى تسلحها الحكومة . وحكمت تلك المعاهدة ايضاً ان حصر الموانع لا يمتد به ما لم يكن فعلياً وانهُ يجوز للعدو ان ينقل بضائعهُ في سفن غيره ما لم تكن البضائع مما يمنع نقلهُ في وقت الحرب

ومعاهدة وشنطون حلت المشكلة التي كانت بين انكلترا واميركا في مسألة الاباما بالتحكيم ولولا حلها لبقيت محلاً للنزاع بين فرعي الشعب المتكلم باللغة الانكليزية والفضل في حلها للمستر غلادستون

قال المستر مورلي في كتابهِ سيرة غلادستون ان معاهدة وشنطون وتحكيم جنيفا اشرف اعمال السياسة التي عملت في القرن التاسع عشر لمنع الحروب وهي ادلُّ دليل على ان جمهوريتين من جمهوريات اميركا الثلاث الكبيرة لا تجريان على هوى النفس

وظلَّ الناس ينهبون المدن التي يفتحونها عنوة الى اواسط القرن الماضي اي الى ان جاء اتفاق بروكسل وحرَّم ذلك على الجنود الفاتحة . وحرَّم ايضاً قتل الحامية اذا استأمنت فجرى الناس على ذلك مع انهم كانوا يجرون على خلافهِ منذ مئة سنة

وخلاصة ما تمَّ الى الآن في تخفيف ويلات الحروب العفو عن النساء والاولاد وكل من لا يستطيع القتال ومعاملة العدو بالرحمة اذا طلبها والاعتناء بالاسرى والامتناع عن نهب المدن وعن اخذ شيء مما تملكهُ الرعية الاَّ بعد دفع ثمنهِ او اعطاء وصل بهِ لدفع ثمنهِ وقتما يتيسر ذلك وصار سم المياه واغتيال الحكام والقوَّاد والمخادعة في الاتفاق من عيوب الزمن الماضي التي لا يُرجع اليها . وبطل تسليح السفن التجارية واطلاقها لتعمل فعل القرصان وأُيدت حقوق الشعوب المحايدة وحفظت امواغم وقيدت حقوق التفتيش بشروط كثيرة وهذا كلهُ من نتائج القوانين الدولية . نعم ان الانسان لم يقتل هذه الاهلى السامة اعني بها الحرب لكنهُ قلع بعض انيابها وسمَّكن من قتلها يوماً ما

فنرون من ذلك ان ناموس الارتقاء قد فعل فعلهُ الشافي حتى في ميادين الحرب فازال بعض شرورها واصلح بعض مفاسدها ولا بدَّ من ان يتمَّ عملهُ . ولكن فعلهُ لم يتناول حتى الآن الاَّ الاعراض أما الجوهر وهو قتل الناس فلم يمس . ثم انهُ قد تولَّد حديثاً شرٌّ جديد مثل قبح الشرور التي أُزيلت من الحرب باجماع الناس على استهجانها . فان جنتلس وغروتيوس وكل الذين كتبوا قبل بنكر شويك اوجبوا اعلان الحرب رسمياً قبل الشروع فيها لكي لا يؤخذ العدو على غرة جارين في خطَّة الرومان وغيرهم من كرهي الخيانة المتورعين عن

الغدر ووافقهم الناس على ذلك الى اوائل القرن الماضي وحينئذٍ زعم البعض ان اخذ الخصم على غرّة امر جائز ويقول البعض الآن ان اعلان الحرب ليس واجباً بل يمكن الشروع فيها قبل اعلانها رسمياً . هذا هو الامر الوحيد الذي رجعنا فيه الى الوراء . غدر قبيح لا يقلّ عن استئجار القتلة لاغتيال القوّاد بالسم او بالخنجر وسم المياه التي يشرب منها الخصوم والاتفاق معهم على امر ثم الغدر بهم . نعم ان اغتيالك الخصم وانت تذاكرهُ في حلّ ما بينك وبينهُ من الاشكال بطريقة ودية وقبل ان تعلنهُ ببداءة الحرب غدر قبيح يستهجن حتى في صناعة قتل الناس التي هي اقبح الصناعات واي غدر اقبح من ان تصافح خصمك بيدك اليمنى وتلطف لهُ في الحديث والخنجر في يدك اليسرى تطعنهُ به خلسةً . والحرب بين الامم كالمبارزة بين الافراد فاي مبارز لا يعلن خصمهُ بعزمهِ على مبارزتهِ ، وعسى ان ينظر مؤتمر السلم التالي في هذا الامر ويثبت ان الغدر على هذه الصورة منافض لقوانين الحرب وانهُ لا بدَّ من العود الى الاصطلاح القديم وهو اعلان الحرب قبل شبوبها فانهُ اقرب الى الشهامة والمروءة

نأتي الآن الى الامر العظيم الذي يعتمد عليهِ اضداد الحرب وانصار السلم وهو التحكيم

اول من اشار بالتحكيم من المحدثين امرك كروس الذي ولد بباريس سنة ١٥٩٠ فانهُ الّف كتاباً صغيراً في هذا الموضوع لم يبقَ منهُ الى الآن الاَّ نسخة واحدة وقد اشار بالتحكيم اناس كثيرون قبلهُ ولكن كروس اول من قال بان يستعاض عن الحرب لحسم ما بين الدول من الخلاف بمجلس تحكيم عام يفصل في ذلك الخلاف ويكون فصلهُ حكماً نافذاً على المتقاضين اليهِ

واهتمَّ الملك هنري الرابع سنة ١٦٠٣ باتحاد ممالك اوربا كلها لابطال الحرب ولكنهُ اراد ان يفعل ذلك بالقوة فخبط مسعاهُ

وقام بعدهُ سن بيير ودوق لوربن ووليم بن ومؤسس جماعة الكواكر في بنسلفانيا وبنام وكنت ومل وغيرهم وتبرا كلهم في ابدال الحرب بقانون تفصل بهِ الخصومات الدولية وهذا كلهُ دليل على رغبة الناس المتزايدة في ابطال الحرب وابدالها بالقانون والتحكيم

ولقد كانت مؤتمرات السلم تلتئم بعد الفراغ من الحرب لعقد الصلح بين المتحاربين لكن مؤتمر السلم الذي أُقيم في مدينة الهاي بهولندا هو اول مؤتمر انشئ للبحث عن الوسائل التي يحفظ بها السلم قبل الحرب وقد حضرهُ نواب ست وعشرين امةً وفي جملتها كل الدول العظيمة والتأم بدعوة من قيصر روسيا الحالي في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ . وهو اول مؤتمر تحققت فيهِ امنية كروس لانهُ مجلس تحكيم عام للفصل في الخصومات التي تقع بين الدول . وسيذكر القرن الماضي في القرون التالية بانهُ لم يتهِ حتى وأَد مجلساً عالياً يتقاضى اليهِ نوع الانسان

وفتح المؤتمر في عيد ميلاد القيصر في ١٨ مايو سنة ١٨٩٩ وسيحفظ الناس هذا اليوم عيداً سنوياً يسمونهُ يوم السلام لان فيهِ خطا نوع الانسان اكبر خطوة نحو الغرض الذي يسعى اليهِ وهو ابطال آفة الحرب . وان في قبول امم الارض كلها دعوة القيصر وارسال مندوبيها الى هذا المؤتمر لدليل على ان الرغبة في ابطال الحرب والتخلص من ويلاتها امرٌ عام شامل . ثم لما اقرّ اعضاء المؤتمر على القوانين التي اتفقوا عليها وبشروا بها الى دولهم المختلفة لم تجد منها غير القبول والمصادقة وبعضها مثل مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة صادق عليها بالاجماع

فلم يبقَ والحالة هذه موجب للحرب فان في لهاي مجلساً اعضاؤهُ من اعلم رجال القضاء والسياسة في الدنيا واحكمهم وهو مستعدٌ للنظر في ما يقع بين الدول من الخلاف والفصل فيهِ بالعدل والانصاف . وقد فصل حتى الآن في عدة من الخصومات فاولاً فصل في الخلاف بين الولايات المتحدة والمكسيك . ثم عيّن الرئيس روزفلت للفصل في الخلاف بين بريطانيا والمانيا وفرنسا وايطاليا واميركا وفنزويلا ففصل فيهِ . ومنذ عهد قريب كادت نار الحرب تستعر بين انكلترا وروسيا بسبب مسألة الصيادين والبوارج الروسية ولكن القوانين التي اقرّها مؤتمر لهاي توجب تعيين لجان مختلطة في مثل هذه الحال للبحث عن الاسباب ففعلت انكلترا وروسيا بحسب ذلك وزال الخلاف من بينهما . وتوجب هذه القوانين اقتراح الرئيس روزفلت على اليابان وروسيا ان تعقدا مؤتمراً يفصل بينهما ويعين شروط الصلح فافلح في ذلك والفضل فيهِ لمؤتمر السلم . فلا شبهة في ان انشاء هذا المؤتمر او هذه المحكمة العليا التي تفصل بين الامم من غير حرب هو اعظم ما عملهُ الانسان حتى الآن وسيبقى يهِ عرش الحروب وينصب التحكيم بدلاً منها . ولا اجبار فيهِ فلا احد يستطيع ان يجبر دولتين متخاصمتين على التقاضي اليهِ . واذا تقاضتا اليهِ فلا احد يستطيع ان يجبرهما على العمل بموجب ما يقضي بهِ فهو مثل الشرائع الدولية سلطتهُ قائمة بعدالة قضاته فترغب الدول في التقاضي اليهِ من تلقاء نفسها . وما دامت الرغبة في تجنب الحروب آخذة في الازدياد فلا يبعد ان تقيد الدول انفسها بالتقاضي اليهِ في المسائل التي يخشى من ان تفضي الى الحرب والامور مرهونة باوقاتها والسلم لا يسود بالقوة بل بالعقل فان الدول كانت تحفظ لنفسها الحق في عدم التسليم بما يمس شرفها او مصالحها ثم تنازلت ثلاث منها عن ذلك ووعدن بالخضوع لحكمهِ في كل الامور ولا بدَّ ما يقتدي بهنَّ غيرهنَّ

ستأتي البقية